مجلـة

آداب الرافدين

علمية محكّمة فصليَّة

تصدر عن كلية الآداب

العدد: الخامس وسبعون

السنة: الثامنة والأَربعون

الموصـل

١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م

الهيئة الاستشارية

- أ.د. وفاء عبد اللطيف عبد العالي — جامعة الموصل/ العراق (اللغة الإنكليزية)
- أ.د. جمعة حسين محمد البياتي — جامعة كركوك / العراق (اللغة العربية)
- أ.د. قيس حاتم هاني الجنابي — جامعة بابل/ العراق (تاريخ وحضارة)
- أ.د.حميد غافل الهاشمي — الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية/ لندن (علم الاجتماع)
- أ.د. رحاب فائز أحمد سيد — جامعة بني سويف / مصر (المعلومات والمكتبات)
- أ. خالد سالم إسماعيل — جامعة الموصل/ العراق (لغات عراقية قديمة)
- أ.م.د. علاء الدين احمد الغرايبة — جامعة الزيتونة/ الأردن (اللسانيات)
- أ.م.د. مصطفى علي دويدار — جامعة طيبة/ السعودية (التاريخ الإسلامي)
- أ.م.د. رقية بنت عبد الله بو سنان — جامعة الأمير عبدالقادر/ الجزائر (علوم الإعلام)

الأفكار الواردة في المجلة جميعاً تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: خمسة وسبعون — السنة: الثامنة والأربعون

رئيس التحرير

أ.د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري

سكرتير التحرير

أ.م.د.بشار أكرم جميل

هيئة التحرير

أ.د.محمود صالح إسماعيل	أ.د.عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن
أ.د.مؤيد عباس عبد الحسن	أ.د.علي أحمد خضر المعماري
أ.م.د.سلطان جبر سلطان	أ.م.د. أحمد إبراهيم خضر اللهيبي
أ.م.د. زياد كمال مصطفى	أ.م. قتيبة شهاب احمد

المتابعة والتقويم اللغوي

م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	— مدير هيئة التحرير
أ.م.أسامة حميد إبراهيم	— مقوم لغوي/ لغة الإنكليزية
م.د. خالد حازم عيدان	— مقوم لغوي/ لغة عربية
م. مترجم.إيمان جرجيس أمين	— إدارة المتابعة
م. مترجم.نجلاء أحمد حسين	— إدارة المتابعة
م.مبرمج. أحمد إحسان عبدالغني	— مسؤول النشر الإلكتروني

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٣٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد.
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة.

((هيئة التحرير))

المحتويـات

العنـوان	الصفحة
دفعُ الإجحافِ في الدَّرسِ اللغوي أ.م.د. محمد ذنون يونس و أ.م.د. أحمد صالح يونس	١ - ٣٨
بلاغة تشابه الأطراف في سورة المائدة أ.م.د.عدنان عبد السلام أسعد و أ.م.د.عمار إسماعيل أحمد	٣٩ - ٧٤
المشاهدُ الوصفيَّةُ في شعرِ ابن زيلاق الموصلي (ت٦٦٠هـ) أ.م.د مقداد خليل قاسم الخاتوني	٧٥ - ٩٨
إطلاق المفرد وإرادة الجمع في القرآن الكريم م.د. رياض يونس خلف	٩٩ - ١٣٤
جمالية التجاور الدلالي في رسائل القاضي الهروي م.د. ماجدة عجيل صالح	١٣٥ - ١٥٦
الخطاب بين الإخوة في القرآن الكريم م.د.مقبول علي بشير النعمة	١٥٧ - ٢٠٦
الطَّبيعةُ في شعرِ ابن السَّاعَاتي (ت ٦٠٤هـ) م.د. فارس ياسين محمد الحمداني	٢٠٧ - ٢٤٦
صورة صلاح الدين الأيوبي في شعر ابن الدهان الموصلي (ت٥٨١هـ) م.د. جرجيس عاكوب عبدالله الراشدي	٢٤٧ - ٢٧٢
الأبعادُ الدلاليةُ للموصولِ وجملة صلتِه في فكر عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) م.م. جرجيس طه صالح	٢٧٣-٣٠٢
الاصالة والابداع الجغرافي الاقليمي في حضارة وادي الرافدين (دراسة في الفكر الجغرافي) أ.م.د. رائد راكان قاسم الجواري	٣٠٣ - ٣٣٠
العلاقات الدبلوماسية بين الإمبراطورية البيزنطية ودولة المماليك أ.م.د. فتحي سالم حميدي	٣٣١ - ٣٥٤
التاريخ الثقافي لقبيلة الأَزد في الموصل في القرنين الثاني والثالث الهجريين/الثامن والتاسع الميلاديين المحدثون أنموذجا أ.م.د.ميسون ذنون العبايجي	٣٥٥ - ٣٧٤
الضحاك بن قيس الفهري ودوره السياسي والعسكري في العصرين الراشدي والأموي م.د. عدنان شعبان عبد	٣٧٥ - ٤٢٠
+تأثير الانشقاقات المذهبية والسياسية الاسماعيلية على الدولة الفاطمية (٢٩٧ – ٥٦٧هـ / ٩٠٩ – ١١٧١م) م.د.خانزاد صباح محي الدين	٤٢١ – ٤٤٤
جزيرة ميورقة من الفتح الاسلامي (٨٩ هـ / ٧٠٨ م) حتى سقوطها بيد الصليبيين (٦٢٧ هـ / ١٢٢٦ م) دراسة سياسية م.د. سعدي محمد علي	٤٤٥ – ٤٦٦
السلطان حسين كامل ودوره السياسي في مصر م.د.محمد يونس اسماعيل ابراهيم	٤٦٧ – ٥٠٠

مبادرة تحالف الحضارات: تجربة دولة قطر أنموذجاً م.د.ميثاق خيرالله جلود	٥٠١ – ٥٢٢
ياقوت الحموي و موارده من كتب السيرة والفتوح والتأريخ العام في كتاب معجم البلدان م.د. كامران عبدالرزاق محمود	٥٢٣ – ٥٤٦
موقف جامعة الدول العربية من قضايا التحرر والاستقلال العربي (إمامة عُمان أنموذجاً ١٩٥٣-١٩٧٥) م.د. عمر مهدي خليل	٥٤٧ – ٥٧٨
الأوضاع الاقتصادية في خراسان وبلاد ماوراء النهر على عهد الإمارة السامانية (٢٦١-٣٨٩هـ/٨٧٤-٩٩٩م) م.م. له نجه طلعت عبيد	٥٧٩ – ٦١٨
إسهام عروة بن الزبير في تدوين السيرة النبوية - قراءة في أهمية مؤرخ إسلامي رائد – م.م.محمد نجمان ياسين عباس	٦١٩ – ٦٣٦
المكتبة البشرية ودورها في المجتمع م.أمثال شهاب احمد و م.عبدالقادر احمد علي	٦٣٧ – ٦٥٦
التعايش في الموصل : المتطلبات والإشكاليات م.د.محمود عزو حمدو	٦٥٧ – ٦٧٤
السلوك الإنجابي للمرأة الريفية والحضرية دراسة اجتماعية أ.م. فراس عباس فاضل و أ.م. نادية صباح محمود	٦٧٥ – ٦٩٠
باب الياء آخر الحروف من كشف الظنون لحاجي خليفة تحقيق ودراسة م.د.مظفر حسين علي	٦٩١ – ٧١٢
مآلات الفهرسة الوصفية للمخطوطات م.م.مهدي محمد علي كصبان	٧١٣ – ٧٣٤

بلاغة تشابه الأطراف في سورة المائدة

أ.م.د.عدنان عبد السلام أسعد* و أ.م.د.عمار إسماعيل أحمد*

تأريخ التقديم: ٢٠١٣/١١/٤ تأريخ القبول: ٢٠١٣/١٢/٣

التمهيد: (بين يدي العنوان)

أولاً. تأصيل المصطلح

- **تشابه الأطراف لغةً واصطلاحاً**

لغةً:

بدءاً لا بد من إعطاء معنى لغوي للفظتي (تشابه) و (الأطراف) وذلك بالرجوع إلى معجمات اللغة فنجد أن المصطلح متكون من مادتي(شبه) ، (طرف) .

(شَبَهَ)" الشِّينُ وَالْبَاءُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى تَشَابُهِ الشَّيْءِ وَتَشَاكُلِهِ لَوْنًا وَوَصْفًا. يُقَالُ شِبْهٌ وَشَبَهٌ وَشَبِيهٌ. وَالشَّبَهُ مِنَ الْجَوَاهِرِ: الَّذِي يُشْبِهُ الذَّهَبَ. وَالْمُشَبِّهَاتُ مِنَ الْأُمُورِ: الْمُشْكِلَاتُ. وَاشْتَبَهَ الْأَمْرَانِ، إِذَا أَشْكَلَا"[١].ويقال :تشابه الشيئان أشبه كل مِنْهُمَا الآخر حَتَّى التبسا[٢] . وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴿٧٠﴾ ﴾ البقرة .و "تشابهتِ الأمورُ: اختلطت، التبست فلم تتميّز ولم تظهر" [٣]. قَالَ تَعَالَى:﴿ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴿١٦﴾ ﴾ الرعد. الطَّرَف: النَّاحِيَة من النواحي[٤].وطَرَفُ الشيءِ:

---

* قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات/ جامعة الموصل .

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل .

(١) مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس(ت ٣٩٥هـ)تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر – بيروت ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، ٢٤٣/٣.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) دار الدعوة ،٤٧١/١.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) ،عالم الكتب ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ١١٦١/٢.

(٤) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ) تح: محمد عوض مرعب: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م. ٢١٨/١٣.

جانبُهُ، ويستعمل في الأجسام والأوقات وغيرهما[1]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ طه ، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ ﴿١١٤﴾ ﴾ هود.

اصطلاحاً

إن المتتبع لمصطلح تشابه الأطراف عند العلماء يلحظ أول ورود له عند القاضي عبد النبي ابن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ق ١٢هـ) في كتابه دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)[2]، ثم نجد أبا الإصبع المصري(ت٦٥٤هـ) يورد أبياتاً تتضمن تشابه الأطراف فقد قال:"هذا الباب سماه الأجدابي التسبيغ، وفسره بقوله: هو أن يعيد لفظ القافية في أول البيت الذي يليها، والتسبيغ زيادة في الطول، ومنه قولهم: درع سابغة، إذا كانت طويلة الأذيال، وهذه اللفظة في اصطلاح العروضيين:عبارة عن زيادة حرف ساكن على السبب الخفيف في آخر الجزء، وعلى هذا لا تكون هذه التسمية لائقة بهذا المسمى، فرأيت أن أسمى هذا الباب تشابه الأطراف، لأن الأبيات فيه تتشابه أطرافها وما بأبيات قلتهن في هذا النوع من بأس"[3].

خَليليَّ إنْ لَمْ تَعْذُراني في الهَوى ولَـمْ تَحْمِلا عنِّي اذْهبا وَدَعانـي
دَعاني إليهِ الحبُّ فالحبُّ آنفـا دَعـــاني قَلْبـي إذْ دَعاهُ جَناني
جَنانيَّ في سُكْرٍ فَلا رَعـى عِنْدَهُ بِـكَأْسٍ بِها ساقي الغَرامِ سَقانـيَ
سَقانيَ مَنْ لَمْ يُعْنِهِ مِنْ صَبابَتي وَوَجْدي بِهِ ما شَفَّـني وَعَنانِـــي
عَناني مِنْهُ ما بَراني وَلَمْ يَكُـــنْ لِيـرْثي لِما قَدْ حَلَّ بي وَدَهانـــي

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ) تح: صفوان عدنان الداودي: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ :٥١٧.

(٢) ينظر: دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ق١٢هـ) عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص: دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ، ١/٢٠١-٢٠٢.

(٣) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية :٥٢٠.

دَهاني الْهَوى مِنْ حَيْثُ لَمْ أَدْرِ عِنْدَما رَأَى ما شَجَى قَلْبي الْكَئِيبِ عَياني

ومنه في الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴿٣٥﴾ ﴾ النور، ونلحظ ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) يورد في كتابه خزانة الأدب وغاية الأرب كلام ابن أبي الإصبع المصري بشواهده[١]. ويعرفه شهاب الدين النويري (٧٣٣هـ): بأنه أن يجعل الشاعر قافية بيته الأوّل أوّل البيت الثاني، وقافية الثاني أوّل الثالث، وهكذا إلى انتهاء كلامه[٢]، ثم يورد أبياتاً لليلى الأخيليّة [٣]

تمدح الحجّاج:

إذا نَزَلَ الحجّاجُ أرْضاً مَريضَـــــةً تَتَبَّـع أَقْصى دائِها فَشَفاها

شَفاها مِنَ الدّاءِ العُضالِ الّذي بِها غُـلامٌ إذا هَزّ الْقَناةَ سَقاها

سَقـــاها فَرَوّاها بِشربٍ سِجـالُـــهـا دماءُ رجالٍ يَحْلِبونَ صِراها

بعد ذلك نجد تعريفاً واضحاً للمصطلح ونسبته للعلم الذي وقع فيه .

تشابه الْأَطْرَاف: من المحسنات المعنوية الْمَذْكُورَة فِي علم البديع. وَهُوَ أَن يختتم الْكَلَام بِمَا يُنَاسب ابتداءه فِي الْمَعْنى[٤] نَحْو قَوْله تَعَالَى: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ الأنعام فَإِن اللَّطِيف يُنَاسب كَونه غير مدرك للأبصار والخبير يُنَاسب كَونه مدْركا للأشياء لِأَن الْمدْرك للشَّيْء يكون خَبِيرا بِهِ، وَالتَّفْصِيل فِي

(١) ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي (ت ٨٣٧هـ) تح: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال– بيروت، دار البحار– بيروت ،الطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م ، ٢٢٥/١.

(٢) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ) ،دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ ٧ /١٨١.

(٣) ديوان ليلة الأخيلية ، ت:د.واضح الصمد ، دار صادر ، بيروت–لبنان ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٣م : ٨٨ .

(٤) ينظر: دستور العلماء: ٢٠١/١–٢٠٢ ، والكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) تح: عدنان درويش – محمد المصري: مؤسسة الرسالة – بيروت :٣١٦.

ذَلِك الْعلم وَهَذَا قسم من مُرَاعَاة النظير[١]. وقد خلط البلاغيون بين مصطلحي مراعاة النظير وتشابه الأطراف، يقول القزويني :"ومن مراعاة النظير ما يسميه بعضهم تشابه الأطراف وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى"[٢]. وهناك من جعل بينهما عموماً وخصوصاً فذهب بعضهم إلى أن تشابه الأطراف جزء من مراعاة النظير.

فمراعاة النظير: "هو الجمع في العبارة الواحدة بين المعاني التي بينها تناسبٌ وائتلاف ما، لا على سبيل تقابل التناقض أو التضاد أو التَّضايُف، ويكون هذا التناسُب بين معنيَيْن فأكثر،أما إذا كان هذا التناسب بين أول الكلام وآخره سُمّي: "تَشابه الأطراف"[٣]، وهذا ما نميل إليه .

- **أقسام تشابه الأطراف :**

لم نجد في كتب القدماء تقسيماً ظاهراً لأقسام تشابه الأطراف ،ولكن نلحظ ذلك من فحوى عباراتهم فهذا القزويني يقول : ومن خفي هذا الضرب قوله تعالى﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ المائدة [٤].

فنلحظ في عبارته أن هناك ضرباً غير خفي وهو الظاهر . لذا فعلماء البلاغة المحدثون يقسمون تشابه الأطراف على قسمين بناءً على ما أورده القزويني.

تشابهُ الأَطرافِ قسمان معنويٌّ ولفظيٌّ.

أولاً: **المعنوي:** هو أنْ يختمَ المتكلِّمُ كلامَه بما يناسبُ ابتداءَه في المعنَى ، كقوله تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾ الحج ، قال الغنيُّ الحميدُ لينبِّهَ على أنَّ مالهُ ليسَ لحاجةٍ ،بل هو غنيٌّ عنهُ جوادٌ بهِ ، فإذا جادَ بهِ حمدَه المنعَمُ عليهِ ، ومنْ خفيِّ هذا الضربِ قولُه تعالى على لسان عيسى بن مريم

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني ،تح: الشيخ بهيج غزاوي ،دار إحياء العلوم ،١٤١٩هـ ١٩٩٨م :٣٢٤.

(٢) المصدر نفسه:٣٢٤ .

(٣) البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ) ،دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م ،٣٨٢/٢.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة:٣٢٥.

عليه السلامُ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ المائدة فإن قوله: " وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ " يوهمٌ أنَّ الفاصلةَ الغفورُ الرحيمُ، ولكنْ إذا أنعمَ الإنسانُ النظرَ علِمُ أنه يجبُ أنْ تكونُ ما عليهِ التلاوةُ ، لأنه لا يغفرُ لمن يستحقُّ العذابَ إلا من ليسَ فوقَهُ أحدٌ يردُّ عليه حكمَه، فهو العزيزُ لأنَّ العزيزَ في صفاتِ اللهِ هو الغالبُ منْ قولهِم: عزَّهُ يُعزُّهُ عزًّا إذا غلبَه، ومنه المثلُ منْ عزيزٍ أيْ منْ غلبَ سلبَ ، ووجبَ أنْ يوصفَ بالحكيمِ أيضاً، لأنَّ الحكيمَ منْ يضعُ الشيءَ في محلِّه، واللهُ تعالى كذلكَ، إلا أنهُ قدْ يخفَى وجهُ الحكمةِ في بعضِ أفعالهِ فيتوهَّمُ الضعفاءُ أنه خارجٌ عن الحكمةِ، فكانَ في الوصفِ بالحكيمِ احتراسٌ حسنٌ، أيْ وإنْ تغفرَ لهم معَ استحقاقِهمُ العذابَ فلا معترضَ عليكَ لأحدٍ في ذلكَ، والحكمةُ فيما فعلتَهُ . وكقول الشاعر:

ألذُّ من السحرِ الحلالِ حديثُهُ وأعذبُ منْ ماءِ الغمامةِ ريقُهُ

فالريقُ: يناسبُ اللذةَ في أولِ البيت[١].

ثانياً : اللفظيُّ وهو نوعانِ:

الأولُ – أنْ ينظرَ الناظمُ أو الناثرُ إلى لفظةٍ وقعتْ في آخرِ المصراعِ الأولِ أو الجملةِ، فيبدأُ بها المصراعَ الثاني، أو الجملةَ التاليةَ، كقوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴿٣٥﴾ ﴾ النور ،فقد كرر المصباح والزجاجة .

الثاني.أنْ يعيدَ الناظمُ لفظةَ القافيةِ منْ كلِّ بيتٍ في أول البيتِ الذي يليهِ[٢]كقول النميري[٣]:

رَمَتْنِي وسِتْرُ اللَّه بيني وبينَها عشِيَّةَ آرامِ الكِنـاسِ رميــمُ

رميمُ التي قالتْ لجاراتِ بيتِها ضمِنْتُ لكم ألاّ يزالَ يهيمُ

(١) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ) ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، بيروت :٣٢١.

(٢) ينظر: الخلاصة في علوم البلاغة، علي بن نايف الشحود :٨٠.

(٣) شرح ديوان الحماسة، أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي، (ت ٥٠٢هـ) : دار القلم – بيروت: ١/ ٤٠٢.

ثانياً. بين يدي السورة

- **تسميتها:**

سمّيت في كتب التفسير [1]، وكتب السنّة[2]، بسورة المائدة ؛ لأنّ فيها قصّة المائدة التي سألها الحواريون من عيسى عليه السلام، وقد اختصّت بذكرها. فهذا أشهر أسمائها ولأنها السورة الوحيدة التي تحدثت عن مائدة طلب الحواريون من عيسى–عليه السلام– أن يسألها ربه. وذلك في قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ المائدة.

وتسمّى أيضاً سورة العقود : إذ وقع هذا اللفظ في أوّلها . وتسمّى أيضاً المنقذة قال القرطبي: روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (سورة المائدة تدعى في ملكوت السموات المنقذة) قال : أي أنّها تنقذ صاحبها من أيدي ملائكة العذاب[3].

ويورد ابن عاشور كلاماً لأحمد الجرجاني في كتابه كنايات الأدباء (يقال : فلان لا يقرأ سورة الأخيار ، أي لا يفي بالعهد ،وذلك أنّ الصحابة (رضي الله عنهم) كانوا يسمّون سورة المائدة سورة الأخيار[4]. ولم نجد هذه التسمية في كتب التفسير المشهورة، وربما التسمية الدقيقة هي سورة الأَحبار؛ لاشتمالها على ذكرهم في قوله: ﴿ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ

---

(١) ينظر: تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ) تح : د. محمد عبد السلام أبو النيل: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ –١٩٨٩ م ، و جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

(٢) ينظر: الجامع الصحيح (صحيح البخاري): أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تح: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة–بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م باب تفسير سورة المائدة:١٦٨١/٤.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١ هـ) تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م، ٣٠/٦ ولم نعثر على الحديث في مظانه.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ) ،دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م ،٦٩/٦.

وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة وقوله: ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ المائدة[١]. فيكون الجرجاني قد وقع في التصحيف أو ممن نقل عنه لأن الكلمتين تتشابهان في رسم الحروف من غير تنقيط .والله أعلم .

- **عدد آيها**

"عدد آياتها عشرون ومائة آية عند الكوفيين ويرى الحجازيون والشاميون أن عدد آياتها اثنتان وعشرون ومائة آية ، ويرى البصريون أن عدد آياتها ثلاث وعشرون ومائة آية"[٢]

- **نزولها :**

نزلت سورة المائدة بعد سورة الفتح، وكان نزول سورة الفتح بعد صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة، فيكون نزول سورة المائدة فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك[٣].

- **الغرض منها وترتيبها :**

نزلت سورة المائدة بعد صلح الحديبية، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) قد قصد مكة للعمرة هو وأصحابه، فصدتهم قريش عن عمرتهم، وجرت بين الفريقين حوادث انتهت بصلح رضيه النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وكان كثير من أصحابه يرى أن فيه غبنا لهم، لأنه جاء على الشروط التي أرادتها قريش، وهي وضع الحرب بين المسلمين وقريش أربع سنين، وأن من جاء المسلمين من قريش يردونه، ومن جاء قريشاً من

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) تح: محمد علي النجار ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م ١٧٨/١.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ، الطبعة: الأولى: يوليو ١٩٩٧م ، ٧/٤.

(٣) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان ،أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت ١٥٠هـ) تح: عبد الله محمود شحاته الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ ، ٤٤٧/١.

المسلمين لا يلزمون برده، أن يرجع المسلمون من غير عمرة هذا العام ويقضوها في العام المقبل، وأن من أراد أن يدخل في عهد المسلمين من غير قريش دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه[١]،فنزلت هذه السورة وفي أولها الأمر بالوفاء بالعقود، ليفوا بما للمشركين في ذلك العقد وإن كان فيه غبن لهم، ويقوموا بعمرة القضاء ولا يتثاقلوا عنها تهاوناً بما استفادوه منه، وقد أطلقت العقود في ذلك إطلاقاً لتشمل هذا العقد وغيره من العقود، سواء أكانت بين بعض العباد وبعض، أم كانت بين الله والعباد، ثم ذكر فيها ما أوقعه الله بالأولين من أهل الكتاب وغيرهم لنقضهم عهودهم، ليحذر المسلمين أن يصيبهم إذا نقضوا عهودهم مثل ما أصابهم، وقد جرّ ذلك إلى الكلام على نقض المنافقين واليهود لعهودهم مع النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وما كان من موالاة المنافقين لليهود وإيثارهم عهودهم معهم على عهودهم مع المسلمين[٢].وقد جاء، بعد الأمر بالوفاء بالعقود في أول السورة، بيان حكم الذبائح والصيد في الحرم وتحريم التعرض لمن يؤمّه للنسك، وما إلى هذا من أحكام المناسك، وقد جاء معها قليل من الأحكام العملية الأخرى، فلما انتهى من الكلام على أهل الكتاب والمنافقين عاد إلى الكلام على تلك الأحكام العملية، وفصّل فيها بعض ما أجمله في أحكام المناسك، ليبين للمسلمين ما يحتاجون إليه من ذلك في عمرة القضاء، وليعلموا الفرق في ذلك بين الجاهلية والإسلام، ثم ختمت السورة بذكر أحوال يوم القيامة ليبين ما أعد فيها للذين يفون بعهودهم، ويتناسب في هذا بدؤها وختامها.

وقد ذُكِرت هذه السورة بعد سورة النساء لأنها تشبهها في الطول، وفيما جاء فيها من الكلام على أهل الكتاب والمنافقين، كما تشبهها فيما جاء فيها من الأحكام العملية.

(١) ينظر: الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين تح: عبد العزيز بن عثمان التويجزي ، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت الطبعة ، الأولى – ١٤٢٠ هـ ،٢/٢١٩ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢/٢٢٠ .

علاقتها بسورة النساء وسورة الأنعام. :

وأما علاقها بسورة النساء، فيظهر للمتدبر فيها وجه بديع جداً. وذلك أن سورة النساء اشتملت على عدة عقود صريحة وضمنية.

فالصريحة: عقود الأنكحة، وعقد الصداق، وعقد الحلف، في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ﴾ النساء. وعقد الأيمان في هذه الآية وبعد ذلك عقد المعاهدة والأمان في قوله تعالى:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ النساء وقوله تعالى:﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٩٢﴾ ﴾ النساء

والضمنية:عقد الوصية، والوديعة، والوكالة، والعارية، والإجارة، وغير ذلك من الداخل في عموم قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴿٥٨﴾ ﴾ النساء . فناسب أن يعقب بسورة مفتتحة بالأمر بالوفاء بالعقود. فكأنه قيل (في المائدة):﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴿١﴾ ﴾ المائدة التي فرغ من ذكرها في السورة التي تمت. فكان ذلك غاية في التلاحم والتناسب والارتباط.

ووجه آخر في تقديم سورة النساء، وتأخير سورة المائدة، وهو: أن تلك أولها:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ النساء وفيها الخطاب بذلك في مواضع، وهو أشبه بخطاب المكي، وتقديم العام وشبه المكي أنسب.

ثم إن هاتين السورتين (النساء والمائدة) ، في التقديم والاتحاد، نظير البقرة وآل عمران، فتلكما في تقرير الأصول، من الوحدانية، والكتاب، والنبوة، وهاتان في تقرير الفروع الحكمية[1]. وقد ختمت المائدة بصفة القدرة، كما افتتحت النساء بذلك .

(١) ينظر: أسرار ترتيب القرآن، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي(ت٩١١هـ) تح: عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام – القاهرة :٩٥ .

وافتتحت النساء ببدء الخلق، وختمت المائدة بالمنتهى من البعث والجزاء فكأنهما سورة واحدة، اشتملت على الأحكام من المبتدأ إلى المنتهى. وأن مناسبة هذه السورة لسورة الأنعام أنها ختمت بفصل القضاء[١].

المبحث الأول . بلاغة تشابه الأطراف في سياق أسماء الله الحسنى .

الموضع الأول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١ ﴾ المائدة .

تأتي هذه الآية الكريمة في أول سورة المائدة لترشد المؤمنين وتأمرهم بإيفاء العهود كافة إيفاءً وافيا كاملا لا نقص فيه، العهود مع الله تعالى بالالتزام فيما أحل وحرّم وفرض ، ومع الناس في البيع والشراء والزواج وغير ذلك، فضلاً عن بيانها حليّة البهائم كلها إلا التي حُرمت بنصوص مخصوصة في الكتاب والسنة.

وأَصلَ العَقْدِ نَقِيض الحَلِّ، يقال: عَقَدَه يَعْقِده عَقْداً وتَعْقَاداً، وعَقَّده، وَقد انْعَقد، وتَعَقَّدَ، ثمَّ اسْتُعْمِل فِي أَنْواعِ العُقُودِ من البُيوعاتِ، والعُقُود وَغَيرهَا، ثمَّ استُعْمِل فِي التصميم والاعتقادِ الجَازِمِ[٢]،وقيل أصل العقد في الحبل ونحوه كالربط فاستُعير للعهد المؤكد[٣]. من ذلك قول الحطيئة:

قَومٌ إِذَا عَقدُوا عَقْداً لِجَارِهِمُ شَدُّوا العِناجَ وشَدُّوا فَوْقهُ الكَرَبَا[٤]

---

(١) البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه ، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م ١ /٣٨.

(٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ،مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية ٣٩٤/٨.

(٣) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)جزء ٤، ٥: (من الآية ١١٤ من سورة النساء - وحتى آخر سورة المائدة) تح ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار: كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ٢٤٦/٤.

(٤) ديوانه : ١٧.

و"لما كان الإيمان عبارة عن معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأحكامه وأفعاله وكان من جملة أحكامه أنه يجب على جميع الخلق إظهار الانقياد لله تعالى في جميع تكاليفه وأوامره ونواهيه فكان هذا العقد أحد الأمور المعتبرة في تحقق ماهية الإيمان فلهذا قال العَلِيمُ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾يعني يا أيها الذين التزمتم بإيمانكم أنواع العقود والعهود في إظهار طاعة الله أوفوا بتلك العقود وإنما سمى الله تعالى هذه التكاليف عقوداً كما في هذه الآية لأنه تعالى ربطها بعباده كما يربط الشيء بالشيء بالحبل الموثق وحاصل الكلام في هذه الآية أنه أمر بأداء التكاليف فعلاً وتركاً"(١).

وجاء موطن تشابه الأطراف في قوله تعالى : **(إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ)** وتكمن بلاغة هذا الفن البديعي أنه مناسب أتم المناسبة لسياق الآية الكريمة إذ لما شرع الله سبحانه وتعالى للناس في هذه الآية بعضاً من الأحكام التي من طبع الناس أن يستفسروا عن علتها ناسب أن تكون خاتمتها **(إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ)** مبينة لهذه العلة وهي أن الله تعالى يقضي وفقاً لحكمته ما أراده من أحكام التي تجلب النفع وتدفع المضرة . ونلحظ التناسب بين لفظة العقود التي أصلها (الربط والإحكام) فجاء في خاتمة الآية (يحكم) التي تدل على الإحكام أيضاً . **(إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ)**أي يشرع ما يشاء من تحليل وتحريم بحسب ما تقتضيه حكمته البالغة، فأباح بهيمة الأنعام في جميع الأحوال، وأباح الصيد في بعض الأحوال دون بعض، ولا اعتراض عليه، لأنّه مالك الأشياء وخالقها، فيتصرف فيها كما يشاء بحكمته وحسن تدبيره(٢).

فضلاً عن هذا أن موضع تشابه الأطراف في جملة **(إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ)** " تعليل لقوله : (أوفوا بالعقود) ، أي لا يصرفكم عن الإيفاء بالعقود أن يكون فيما شرعه

(١) مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م الطبعة: الأولى ٩٨/١١.

(٢) ينظر: تفسير آيات الأحكام ، محمد علي السايس الأستاذ بالأزهر الشريف المحقق: ناجي سويدان: المكتبة العصرية للطباعة والنشر تاريخ النشر: ٢٠٠٢/١٠/٠١ :٣٤٠.

الله لكم شيء من ثقل عليكم ، لأنّكم عاقدتم على عدم العصيان ، وعلى السمع والطاعة لله ، والله يحكم ما يريد لا ما تريدون أنتم . والمعنى أنّ الله أعلم بصالحكم منكم"[١].

الموضع الثاني :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾ المائدة.

تبين الآية الكريمة ما أحلّه الله لعباده في الأرض بعد سؤالهم عنه ، ويأتي هذا السؤال عمّا أحله الله بعد بيان ما حرمه الله تعالى على عباده في الآيات السابقة لهذه الآية الكريمة .

وختمت الآية على طريقة تشابه الأطراف في قوله تعالى: **(واتقوا الله إن الله سريع الحساب)** وتكمن بلاغة هذا الفن أنه لما تقدم ذكر ما حرَّم وأحلَّ من المطاعم أمر بالتقوى ، فإنّ التقوى بها يمسك الإنسان عن الحرام . وعلل الأمر بالتقوى فقال اتقوا الله فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه، ولا تقدموا على مخالفته فتأكلوا من صيد الجوارح غير المعلّمة، أو مما لم تمسك عليكم من صيدها وأمسكته على نفسها، أو تطعموا ما لم يسمّ الله عليه من الصيد والذبائح مما صاده أهل الأوثان، فإن الله قد حرم ذلك عليكم فاجتنبوه، واعلموا أن الله لا يضيع شيئا من أعمالكم، بل تحاسبون عليها وتجازون في الدنيا والآخرة، وهو يحاسب الناس كلهم يوم القيامة فى وقت واحد، فما أجدر حسابه أن يكون سريعا![٢]. " فهو وعيد بيوم القيامة ، وأن حسابه تعالى إياكم سريع إتيانه، إذ يوم القيامة قريب"[٣].

وسرعة الحساب هي من حيث كونه تعالى قد أحاط بكل شيء علما وأحصى كل

---

(١) التحرير والتنوير: ٦ / ٨٠ .

(٢) ينظر: تفسير المراغي ،أحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ) : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م ٥٦/٦.

(٣) تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ،و الشيخ علي محمد معوض و د. زكريا عبد المجيد النوقي: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م الطبعة: الأولى ٤٤٦/٣.

شيء عددا؛ فلا يحتاج إلى محاولة عد ولا عقد كما يفعله الحساب ؛ ولهذا قال : { وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } فهو سبحانه يحاسب الخلائق دفعة واحدة. ويحتمل أن يكون وعيدا بيوم القيامة كأنه قال : إن حساب الله لكم سريع إتيانه ؛ إذ يوم القيامة قريب ، ويحتمل أن يريد بالحساب المجازاة ؛ فكأنه توعد في الدنيا بمجازاة سريعة قريبة إن لم يتقوا الله[1]. والمتمعن في الآية يلحظ أن تشابه أطرافها يكمن فيما سنورده ،إذ لما أحل الله سبحانه وتعالى لعباده الطيبات من الرزق وحثهم على السعي والاجتهاد في طلبه ، أعقبه بما من شأنه تفعيل الوازع الديني لديهم ، ومن ثم فلا يقربون شيئاً مما حرم عليهم ، وذلك من خلال توجيه الأمر لهم بالتقوى مع بيان العلة لذلك . فكأنه سبحانه وتعالى يذكرهم بأنه سريع الحساب فلا تقربوا ما حرّم الله عليكم فيحل عليكم عقابه .

الموضع الثالث:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ المائدة.

تشرع الآيتان الكريمتان في بيان الوضوء وطريقته ، وانه شرط في صحة الصلاة ، فضلاً عن بيان شرع الله الحنيف بالتيسير على عباده بالتيمم إن لم يوجد الماء أو كان به أذى لمن يغتسل به ، مع بيان صيغة التيمم.

والناظر في الآية الكريمة يلحظ أنها بدأت بالتذكرة فقال: (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ) كأنها تشعر بنسيانها، مع أن مثلها لا ينسى، خصوصاً إذا لوحظ أنها متواترة في جميع الأزمان، للإشارة إلى أنه لكثرة هذه النعم وتعاقبها صارت كالأمر المعتاد الذي لكثرة

(١) الجامع لأحكام القرآن ٥٦/٦ .

وجوده قد يغفل المرء عنه[١].ويقال :"أمرهم بتذكّر ما سبق لهم من القسم وهم في كتم العدم، فلا للأغيار عنهم خبر، ولا لهم عين ولا أثر، ولا وقع عليهم بصيرة، وقد وسمهم بالإيمان، وحكم لهم بالغفران قبل حصول العصيان، ثم لما أظهرهم وأحياهم عرّفهم التوحيد قبل أن كلّفهم الحدود، وعرض عليهم بعد ذلك الأمانة وحذّرهم الخيانة، فقابلوا قوله بالتصديق، ووعدوا من أنفسهم الوفاء بشرط التحقيق، فأمدّهم بحسن التوفيق، وثبّتهم على الطريق، ثم شكرهم حيث أخبر عنهم بقوله جل ذكره: «إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنا وَأَطَعْنا»"[٢] . فذكّرهم بنعم مضت تذكيراً يقصد منه الحثّ على الشكر وعلى الوفاء بالعهود. والكلام مرتبط بما افتتحت به السورة من قوله: (أوفوا بالعقود) لأنّ في التذكير بالنعمة تعريضاً بالحثّ على الوفاء .

وإن قيل: لما قال: (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ) ولم يقل نعم الله؟ قيل: لفظ الواحد في هذا الوضع أبلغ ففيه تنبيه أن في ذكر نعمة واحدة شغلاً عظيماً مع أن لفظ الواحد في نحوه يقتضي الجنس. وذكر نعمته هو شكرها[٣].

والمراد من النّعمة جنسها لا نعمة معيّنة ، وهي ما في الإسلام من العزّ والتمكين في الأرض وذهاب أحوال الجاهلية وصلاح أحوال الأمّة [٤].

"والميثاق : العهد ، وواثق : عاهد . وأطلق فعل وَاثق على معنى الميثاق الّذي أعطاه المسلمون ، وعلى وعد الله لهم ما وعدهم على الوفاء بعهدهم . ففي صيغة (واثقكم) استعمال اللّفظ في حقيقته ومجازه" [٥].

وجاء تشابه الأطراف في قوله تعالى : **(إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)** بإثبات صفة العلم لله عز وجل لما في الصدور ، وهذه الخاتمة التي وقع فيها تشابه الأطراف فيها من

---

(١) ينظر: تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس، تح: ناجي سويدان: المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢م: ٣٦٣.

(٢) لطائف الإشارات = تفسير القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ) تحقيق: إبراهيم البسيوني: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر– الطبعة الثالثة ٤٠٦/١.

(٣) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني ، ٢٩١/٤.

(٤) ينظر: تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس:٣٦٣.

(٥) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم،٧١/٤ .

البلاغة ما لا يخفى على كل متأمل للآية الكريمة ، إذ لما كان المراد (بِذاتِ الصُّدُورِ) مَا تُخْفِيهِ الصُّدُورُ لِكَوْنِهَا مُخْتَصَّةً بِهَا لَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ، وَلِهَذَا أَطْلَقَ عَلَيْهَا ذَاتَ الَّتِي بِمَعْنَى الصَّاحِبِ فهي بالنسبة للصدور كالصاحب بالنسبة لصاحبه الذي يلازمه ولا يفارقه[١]. وهي كناية عن المشاعر الخافية، والخواطر الكامنة، والأسرار الدفينة. التي لها صفة الملازمة للصدور والمصاحبة. وهي على خفائها وكتمانها مكشوفة لعلم الله، المطلع على ذات الصدور[٢] ، وقد جاءت نهاية الآية مناسبة لأولها إذ إن الميثاق يكون قد وَقع على النِّيَّة، والنية غير ظاهرة إذ محلُّها ذات الصُّدور فناسبه ذلك. وهي تذييل للتحذير من إضمار المعاصي ومن توهّم أنّ الله لا يعلم إلاّ ما يبدو منهم . وحرف (إنّ) أفاد أنّ الجملة علّة لما قبلها[٣].

الموضع الرابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١ ﴾ المائدة

تبين الآية الكريمة أن الكفرة والعصاة من بني إسرائيل ظنوا أن لا يكون من الله ابتلاء لهم وأخذ في الدنيا وتمحيص فلجوا في شهواتهم وعموا فيها إذ لم يبصروا الحق شبهوا بالصم ونحو هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم (حبك الشيء يُعمي ويُصِم)[٤].فَعَمُوا وَصَمُّوا يعني أنهم عموا عن الحق فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦ ﴾ الحج وهذا العمى هو كناية عن عمى البصيرة لا البصر وكذلك الصمم هو كناية عن منع نفوذ الحق إلى

(١) ينظر: المصدر نفسه ،٧١/٤.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت١٣٨٥هـ): دار الشروق – بيروت– القاهرة الطبعة: السابعة عشرة – ١٤١٢ هـ ٨٥٢/٢.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ١٣٣/٦.

(٤) سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت / باب في الهوى رقم الحديث٥١٣٠ ، ٣٣٤/٤ والحديث ضعفه الشيخ الألباني.

قلوبهم وسبب ذلك شدة جهلهم وقوة كفرهم وإعراضهم عن قبول الحق[١]. " فإن قلت: كيف دخل فعل الحسبان على «أن» التي للتحقيق؟ قلت: نزل حسبانهم لقوّته في صدورهم منزلة العلم: فإن قلت: فأين مفعولا حسب؟ قلت: سدّ ما يشتمل عليه صلة أن وأنّ من المسند والمسند إليه مسدّ المفعولين، والمعنى: وحسب بنو إسرائيل أنه لا يصيبهم من اللَّه فتنة، أي بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة فَعَمُوا عن الدين وَصَمُّوا حين عبدوا العجل، ثم تابوا عن عبادة العجل فتابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كرة ثانية "[٢].

ولا يخفى موقع قوله تعالى :**(وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ)** في فاصلة الآية على طريقة تشابه الأطراف ، فالبَصِيرٌ هنا مع قوله سبحانه: عَمُوا . والبصير مبالغة في المُبصر ، كالحَكيم بمعنى المُحْكم ، وهو هنا بمعنى العَليم بكلّ ما يقع في أفعالهم الّتي من شأنها أن يُبصرها النّاس سواء ما أبصره النّاس منها أم مَا لم يبصروه ، والمقصود من هذا الخبر لازم معناه ، وهو الإنذار والتّذكير بأنّ الله لا يخفى عليه شيء ، فهو وعيد لهم على ما ارتكبوه بعد أن تاب الله عليهم[٣].

ونلحظ في الآية عدولاً عن صيغة الماضي إلى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً لصورتها الفظيعة مع ما في ذلك من رعاية الفواصل ، وبهذه الجملة أشار إلى بطلان حسبان أهل الكتاب ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا إشارة إجمالية اكتفي بها تعويلا على ما فصل نوع تفصيل في سورة بني إسرائيل[٤]، وناسب ختم الآية بهذه الجملة المشتملة على بصير ، إذ تقدّم قبله فعموا.

---

(١) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ) تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ ٦٥/٢.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي: دار إحياء التراث العربي ١٤٠٧ هـ ٦٦٣/١.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٢٧٩/٦.

(٤) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) تح: علي عبد الباري عطية : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ ٣٧١/٣.

الموضع الخامس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ المائدة.

تقرر الآية الكريمة بطلان عقائد المشركين من أهل الكتاب وغيرهم الذين يعبدون من دون الله، كالنصارى واليهود والمشركين ، هذا الإبطال الذي جاء بطريقة الاستفهام الإنكاري التوبيخي على عبادتهم ما لا ينفعهم ولا يضرهم وعدم عبادة الله السميع البصير النافع الضار .

والمتدبر في الآية الكريمة يلحظ أن فيها تشابه أطراف معنوي ولاسيما مع الفعل (تعبدون) الذي يراد به الدعاء إذ ثبت في الحديث الشريف (الدعاء هو العبادة) [١] ، فهم يدعون من لا يسمعهم ولا يعلم بحالهم ، فجاءت الآية على أسلوب الاستفهام الذي يراد به الإنكار والتوبيخ، وخُتمت ﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ على طريقة تشابه الأطراف وهذه الخاتمة مناسبة لما تقدم من دعاء وعدم السمع . يقول ابن عادل: " ﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ متعلِّق بـ " أَتَعْبُدُونَ " ، أي: أتشركون بالله ولا تَخْشَوْنَهُ ، وهو الذي يسمَعُ ما تقولُونَ ويعلَمُ ما تعتقدُونَ ؟ أتعبدون العاجزَ ، واللَّهُ هو السميعُ العَلِيم ؟ ومجيء هاتين الصفتين بعد هذا الكلام في غاية المناسبة؛ فإنَّ السميع يسمع ما يُشْكَى إليه من الضُّرِّ وطلب النفْعِ، ويعلم مواقعهما كيف يكُونَانَ "[٢] ، وإنما قرن بالسميع العليم، دون البصير إرادة التهديد لمن عبد غيره ، لأن العبادة قول أو فعل ، ومن الفعل ما محله القلب وهو الاعتقاد ، ولا يدرك بالبصر بل بالعلم ، والآية – كما ترى – من الاحتباك : دل بما أثبته لنفسه على سبيل القصر على نفيه في الجملة الأولى عن غيره ، وبما نفاه في الجملة

(١) سنن الترمذي ،محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ) تح وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م باب فضل الدعاء رقم الحديث ٣٢٤٧ ،٣٧٤/٥.

(٢) اللباب في علوم الكتاب : أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ) تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م ٤٦٥/٧.

الأولى عن غيره على إثباته له [١]. وقد أمر بتبكيتهم إثر التعجيب من أحوالهم، والمراد بما لا يملك عيسى، أو هو وأمه عليهما الصلاة والسلام، والمعنى أتعبدون شيئاً لا يستطيع مثل ما يستطيعه الله تعالى من البلايا والمصائب والصحة والسعة، أو أتعبدون شيئا لا استطاعة له أصلا، وقيل: يمكن أن يكون المراد الترقي من توبيخ النصارى على عبادة عيسى عليه الصلاة والسلام إلى توبيخهم على عبادة الصليب- فما- على بابها، ولا يخفى بعده وتقديم الضر على النفع لأن التحرز عنه أهم من تحري النفع ولأن أدنى درجات التأثير دفع الشر ثم جلب الخير، وتقديم المفعول غير الصريح على المفعول الصريح لغرض الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر[٢]. وإدخال ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر ، وهو يفيد مع الفصل فائدتين أخريين: قوة الإسناد، واختصاص المسند إليه بالمسند.

وربما يسأل سائل : لِمَ قدم الضر على النفع، ولِمَ أتبع ذلك قوله: (وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) ، وقد كان من حق المقابلة أن يُقال والله هو الضار النافع؟.

فهو أنه لما لم ينكروا أن الله مالك الضر والنفع، ولا أنه قادر على مجازاة من استحق المجازاة، بل أشركوا بينه وبين غيره عَقَّبه بما اقتضى معنى ملكه للضر والنفع، وقدرته على المجازاة وذكر أنه هو المجازي[٣]. وقدّم الضر على النفع؛ فلأن الإنسان يخدم غيره إما لدفع الضرر أو لجر النفع، والناس يراعون دفع الضرر قبل جر النفع، ولذلك كان الاحتراز من المَضَارِ كلها واجباً وليس طلب المنافع كلها واجباً، فلذلك قدم هاهنا الضرر. في حين نلحظ تقديم النفع على الضر في أية أخرى(قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) يقتضيه السياق لأن تقدم النفع في هذا المكان أولى لأنه لما ذكر تحريهم عن أنفسهم فيما يجرون لها. والإنسان يتحرى لنفسه النفع لا الضر، بيَّن أنهم لا يملكون ما يحبون لأنفسهم، بل لا يملكون أيضاً في حقيقة الضر، فضلاً عن النفع.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) تح: عبد الرزاق غالب المهدي ،دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م /٥١٧/٢.

(٢) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٣٧٤/٣.

(٣) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني٤١٢/٥.

الموضع السادس :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ المائدة.

تصور الآية الكريمة مشهداً من مشاهد الآخرة ، مشهد مناقشة وسؤال يتضمن تهديد المشركين وتوبيخهم وتقريعهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة ؛ لإقامة الحجة على الذين عبدوا من دون الله مخلوقاته؛ واتخذوا عبيده آلهة ، مشهد خطاب الله لنبيه عيسى عن شرك قومه توبيخا لهم وتقريعا أهم قالوا هذا القول وافتروا هذه الفرية بأمر منك أم هو افتراء واختلاق من عند أنفسهم؟ فيأتي الجواب من سيدنا عيسى بأدبٍ جمٍ رفيعٍ (إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) .

قوله تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي بإحاطة الله به، وخص النفس بالذكر لأنها مظنة الكتم والانطواء على المعلومات، والمعنى: أن الله يعلم ما في نفس عيسى ويعلم كل هذه الآية على قول من قال: إن توقيف عيسى عليه السلام كان إثر رفعه مستقيمة المعنى. لأنه قال عنهم هذه المقالة وهم أحياء في الدنيا وهو لا يدري على ما يوافون. وهي على قول من قال إن التوقيف هو يوم القيامة بمعنى أن سبقت لهم كلمة العذاب كما سبقت فهم عبادك تصنع بحق الملك ما شئت لا أمره مما عسى أن يكون في نفسه، وقوله وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ معناه ولا أعلم ما عندك من المعلومات وما أحطت بها. وذكر النفس هنا مقابلة لفظية في اللسان العربي وهي تسمى عند البلاغيين بالمشاكلة يقتضيها الإيجاز [١].

ولِما سبق ذكره ناسب أن تأتي الآية على طريقة تشابه الأطراف في قوله:(إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) فهذه الجملة تقرير للجملتين السابقتين معاً ؛ لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولأن ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهى إليه علم أحد ، فكيف

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ) تح: عبد السلام عبد الشافي محمد : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ ٢٦٢/٢.

تكون لي الألوهية؟ ، فضلاً عن أن هذه الجملة بجانب تأكيدها لنفى ما سئل عنه عيسى–عليه السلام– تدل بأبلغ تعبير على إثبات شمول علم الله– تعالى– بكل شيء، وقد أكد عيسى ذلك، بإن المؤكدة وبالضمير أنت، وبصيغة المبالغة «علّام» وبصيغة الجمع للفظ «الغيوب» فهو لم يقل: إنك أنت عالم الغيب وإنما قال– كما حكى القرآن عنه– إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ بكل أنواعها[1]. وفيها أيضاً " مبالغة في ذات الحدث، ومبالغة في تكرير الحدث، فهو سبحانه يعلم غيب كل واحد من خلقه وغيب كل ما في كونه، وهكذا جاء القرآن برد عيسى عليه السلام وهو رد يستوعب كل مجالات الإنكار على الذين قالوا مثل هذا القول"[2].

الموضع السابع

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ المائدة .

هذه الآية متعلقة ومرتبطة بالآية السابقة ، ولما كان موضوعها بيان أن دعوة عيسى –عليه السلام– إنما كانت لعبادة الله تعالى وحده وعدم الإشراك به، وأنه بريء مما قام به المفترون من ادعائهم له ولأمه بالألوهية ، ناسب أن تأتي خاتمتها على طريقة تشابه الأطراف في قوله: ﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ مبينة أن الله تعالى مراقب للناس شهيد على أحوالهم في كل زمان ومكان سواء في حياة أنبيائهم أو بعد وفاتهم والآية "تذييل مقرر لمضمون ما قبله وفيه– على ما قيل– إيذان بأنه سبحانه كان هو الشهيد في الحقيقة على الكل حين كونه عليه السلام فيما بينهم، وعَلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة"[3]، وفي الآية إظهار لأدب عيسى عليه السلام مع ربِّه ، وفي ذلك حث للمسلمين على الاقتداء به في التأدب مع الله تعالى .

وذهب بعض العلماء إلى أن الرقيب من أسماء الله الحسنى ، واسمه جل وعلا الشهيد مترادفان تردفاً غير تامٍ، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: (الرقيب) و

(١) ينظر: المحرر الوجيز ٢٦٢/٢ ، و التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ٤ / ٣٥٠ .

(٢) تفسير الشعراوي – الخواطر ، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم: ٣٤٧٢/٦.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٦٦/٤.

(الشهيد) مترادفان، وكلاهما يدلُّ على إحاطة سمع الله بالمسموعات، وبصره بالمبصرات[١]، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحظ، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ النساء ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٦ ﴾ المجادلة ولهذا كانت المراقبة التي هي من أعلى أعمال القلوب هي التعبد لله باسمه الرقيب الشهيد، فمتى علم العبد أنَّ حركاته الظاهرة والباطنة قد أحاط الله بعلمها، واستحضر هذا العلم في كل أحواله، أوجب له ذلك حراسة باطنة عن كل فكر وهاجس يبغضه الله، وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط الله، وتعبَّد بمقام الإحسان فعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه، فإن الله يراه[٢].

الموضع الثامن

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨ ﴾ المائدة.

تأتي هذه الآية متممة لخطاب الله عز وجل لنبيه عيسى في الآخرة ، وهي ضمن مجموعة من الآيات التي تنقل هذا الخطاب. ولما كان موضوع الآية بيان أن الله سبحانه وتعالى يعذب من يشاء تعذيبه من عباده بذنوبه، ويغفر لمن يشاء المغفرة له بعفوه وغفرانه ، ناسب أن تكون خاتمة الآية **{فَإِنَّكَ أَنتَ العزيز الحكيم}** على طريقة تشابه الأطراف مقررة للمعنى السابق ومؤكدة أن أحكام الله تعالى التي سيصدرها يوم القيامة بحق عباده إنما تكون عن عزّة وحكمة فلا يغفر عن ضعفٍ ، ولا يعذب إلا لحكمة بالغة[٣]. قال ابن عاشور–**رحمه الله**–:"ذِكْرُ الْعَزِيزِ كِنَايَةٌ عَنْ كَوْنِهِ يَغْفِرُ عَنْ مَقْدِرَةٍ،

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م ،٢٤٩.

(٢) ينظر: صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال،القاضي حسين بن محمد المهدي، الناشر: سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة – اليمن ، بدار الكتاب برقم إيداع (٤٤٩) لسنة٢٠٠٩م راجعه: الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي مكتبة المحامي: أحمد بن محمد المهدي ٨٥/٢.

(٣) ينظر: تحرير التحبير :٥٢٩.

وَذِكْرُ الْحَكِيمِ لِمُنَاسَبَتِهِ لِلتَّفْوِيضِ، أَيِ الْمُحْكِمُ لِلْأُمُورِ الْعَالِمُ بِمَا يَلِيق بهم"[1]. أما ابن قيم الجوزية–**رحمه الله**– فله كلام لطيف في تشابه الأطراف هذا إذ يقول: "لَمْ يَقُلِ: الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَهَذَا مِنْ أَبْلَغِ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى. فَإِنَّهُ قَالَهُ فِي وَقْتِ غَضَبِ الرَّبِّ عَلَيْهِمْ، وَالْأَمْرِ بِهِمْ إِلَى النَّارِ. فَلَيْسَ هُوَ مَقَامَ اسْتِعْطَافٍ وَلَا شَفَاعَةٍ. بَلْ مَقَامُ بَرَاءَةٍ مِنْهُمْ. فَلَوْ قَالَ: فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ لَأَشْعَرَ بِاسْتِعْطَافِهِ رَبَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِ الَّذِينَ قَدِ اشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَيْهِمْ. فَالْمَقَامُ مَقَامُ مُوَافَقَةٍ لِلرَّبِّ فِي غَضَبِهِ عَلَى مَنْ غَضِبَ الرَّبُّ عَلَيْهِمْ. فَعَدَلَ عَنْ ذِكْرِ الصِّفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ يُسْأَلُ بِهِمَا عَطْفَهُ وَرَحْمَتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ إِلَى ذِكْرِ الْعِزَّةِ وَالْحِكْمَةِ، الْمُتَضَمِّنَتَيْنِ لِكَمَالِ الْقُدْرَةِ وَكَمَالِ الْعِلْمِ. وَالْمَعْنَى: إِنْ غَفَرْتَ لَهُمْ فَمُغْفِرَتُكَ تَكُونُ عَنْ كَمَالِ الْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ. لَيْسَتْ عَنْ عَجْزٍ عَنْ الِانْتِقَامِ مِنْهُمْ، وَلَا عَنْ خَفَاءٍ عَلَيْكَ بِمِقْدَارِ جَرَائِمِهِمْ، وَهَذَا لِأَنَّ الْعَبْدَ قَدْ يَغْفِرُ لِغَيْرِهِ لِعَجْزِهِ عَنْ الِانْتِقَامِ مِنْهُ. وَلِجَهْلِهِ بِمِقْدَارِ إِسَاءَتِهِ إِلَيْهِ. وَالْكَمَالُ: هُوَ مَغْفِرَةُ الْقَادِرِ الْعَالِمِ. وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَكَانَ ذِكْرُ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ فِي هَذَا الْمَقَامِ عَيْنَ الْأَدَبِ فِي الْخِطَابِ"[2].

وربما يوهم بعض الضعفاء أن الفاصلة لو كانت "غفوراً رحيماً" كانت أنسب ولكن إذا أنعم النظر علم أنه يجب أن تكون ما عليه التلاوة لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو العزيز ؛لأن العزيز في صفات الله هو الغالب من قولهم عزه يعزه عزا إذا غلبه ومنه المثل (من عزَّ بزَّ) أي من غلب سلب[3] ووجب أن يوصف بالحكيم أيضا لأن الحكيم من يضع الشيء في محله والله تعالى كذلك إلا أنه قد يخفي وجه الحكمة في بعض أفعاله فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة فكان في الوصف بالحكيم احتراس حسن أي وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض

(١) التحرير والتنوير :٧ / ١١٧.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية(ت: ٧٥١هـ)، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي–بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ–١٩٩٦م:٣٥٩/٢.

(٣) ينظر: كتاب جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري ،تح : محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش، دار الفكر بيروت ،الطبعة الثانية ، ١٩٨٨ ، ٢٨٨/٢.

عليك لأحد في ذلك والحكمة فيما فعلته[١].إذ إن المقام ليس مقام استعطاف واسترحام، إنما هو مقام غضب وانتقام ممن اتخذه وأمه إلهين من دون الله، فناسب ذكر العزة والحكمة، وصار أولى من ذكر الرحمة والمغفرة [٢].

ولقد ردّ علماؤنا الأوائل على مَنْ ظن أن المناسب ختم الآية بالمغفرة والرحمة بردودٍ عدة منها:

١- أنه لو ختم الآية بالمغفرة والرحمة لضعف المعنى، لأن هذا ينفرد بالشرط الثاني، ولا يكون له تَعلُّقٌ بالشرط الأول، في حين إن ختمه بالعزة والحكمة متعلق بالشرطين، فإن تعذيبه ومغفرته مَنُوطان بعزّته وحكمته "فكان العزيز الحكيم أليق بهذا المكان، لعمومه وأنه يجمع الشرطين، ولم يصلح (الغفور الرحيم) أن يحتمله ما احتمله العزيز الحكيم"[٣].

وجاء في (روح المعاني) : "وادعى بعضهم أنهما متعلقان بالشرطين لا بالثاني فقط، وحينئذ وجه مناسبتهما لا سترة عليه، فإنَّ مَنْ له الفعل والترك عزيز حكيم"[٤]. ومعنى ذلك، أن اختيار العزيز الحكيم متعلقٌ بالثواب والعقاب جميعاً، وليس بحال واحدة. جاء في (الكشاف) : "وإن تغفر لهم، فإنك أنت العزيز، القوي، القادر على الثواب والعقاب، الحكيم الذي لا يُثيبُ ولا يعاقب إلا عن حكمةٍ وصواب. فإن قلت: المغفرة لا تكون للكفار، فكيف قال: {وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ} . قلت: ما قال إنك تغفرُ لهم، ولكنه بنى الكلام

---

(١) ينظر:الإيضاح في علوم البلاغة :٣٢٥ وأنوار الربيع في أنواع البديع: صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن معصوم (ت ١١١٩هـ) ٣٠٧ وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ،عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت ١٤٢٩هـ) مكتبة وهبة الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ٢٣٠/١.

(٢) ينظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن ،أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت ١٣٧٦هـ) : مكتبة الرشد، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م: ٥٩.

(٣) البحر المحيط ٦٧/٤ وينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) تح: الدكتور أحمد محمد الخراط ، دار القلم- دمشق (د.ت) ٦٢٥/٧.

(٤) روح المعاني ٦٨/٤.

على إنْ غفرتَ لهم فقال: إنْ عذبتهم عدلتَ، لأنهم أحقاء بالعذاب، وإن غفرتَ لهم مع كفرهم، لم تعدم في المغفرة وجه حكمة، لأن المغفرة حسنة لكل مجرم في العقول، بل متى كان الجرم أعظم جرماً كان العفو عنه أحسن"(١).

٢- الآية مبنية على التسليم لله سبحانه، وتفويض الأمر إليه وليس على التعريض بطلب المغفرة. جاء في (ملاك التأويل) : "أما آية المائدة فمبنية على التسليم لله سبحانه وأنه المالك للكل، يفعلُ فيهم ما شاء، فلو ورد هنا عقب آية المائدة: "وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم" لكان تعريضاً بطلب المغفرة، ولم يقصد ذلك في الآية، وإنما قيل ذلك على لسان عيسى، عليه السلام، تبرّياً وتسليماً لله سبحانه، وليس موضع طلب مغفرة لهم، وإنما هو تَنصُّلٌ من حالهم، وتسليم لله فيهم. قال الغزنوي – رحمه الله–: لم يقل: (الغفور الرحيم) لأن مخرجه على التسليم، ولأن في ذكر العفو تعريضاً للسائل، والكلام لتسليم الأمرين، والحكمة تقتضيهما وكأنه قال: المغفرةُ لا تُنقِصُ من عِزِّكَ، ولا تَخرجُ عن حكمتك"(٢). وجاء في (البرهان) : "وقيل: ليس هو على مسألة الغفران، وإنما هو معنى تسليم الأمر إلى مَنْ هو أملك لهم، ولو قيل: (فإنك أنت الغفور الرحيم) لأوهم الدعاء بالمغفرة، ولا يسوغ الدعاء بالمغفرة لمن مات على شِرْكهِ لا لنبي ولا لغيره"(٣). وجاء في (تفسير ابن كثير) : "هذا الكلام يتضمنُ رَدَّ المشيئة إلى الله، عز وجل، فإنه الفَعَّالُ لما يشاء"(٤).

٣- وقيل إن ذكر العزيز الحكيم من باب الاحتراس، وذلك أنه "لا يغفر لمن استحق العذاب إلا مَنْ ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه، فهو العزيز، أي: الغالب، والحكيم: هو الذي يضع الشيء في محله. وقد يَخْفى وجه الحكمة على بعض الضعفاء

---

(١) الكشاف : ٧٢٨/١.

(٢) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت ٧٠٨هـ) وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٣٨/١.

(٣) البرهان في علوم القرآن، ٩٠/١.

(٤) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) تح: محمد حسين شمس الدين : دار الكتب العلمية، – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ ٢١٠/٣.

في بعض الأفعال، فيتوهم أنه خارج عنها، وليس كذلك، فكان في الوصف بالحكيم احتراسٌ حسن، أي: وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترضَ عليك لأحدٍ في ذلك والحكمةُ فيما فعلته" (١).

وجاء في (روح المعاني) : "وقيل: إن ذكرهما من باب الاحتراس، لأن ترك عقاب الجاني قد يكون لعجز في القدرة، أو لإهمال ينافي الحكمة، فدفعَ تَوهُّمَ ذلك بذكرهما" (٢).

وخلاصة الاحتراس، أن العفو عن المستحق للعذاب العظيم، قد يكون عن عجز وضعف، لا عن استطاعةٍ وقدرة، أو قد يكون عن سوء تدبير وتقدير، أو عن كليهما، فلو قال: (فإنك أنت الغفور الرحيم) لما دفع هذين الوصفين عنه، فإن الغافر الراحم قد يكون إنما يفعل ذلك لضعفه، أو لسوء تدبيره. فقال: {فَإِنَّكَ أَنتَ العزيز الحكيم} ليدفع ذلك عنه، وليقول إنه إن عفا وغفرَ فعن كمالِ العزةِ والقدرة، وعن غايةِ الحكمة والتدبير، فكان الختم بهما أولى مما ذكر المعترض.

٤- وقيل: إنه لا يجوز المغفرة والرحمة، أو التعريض بهما لهؤلاء لأن هؤلاء مقطوع لهم بالعذاب، وعدم المغفرة، لأنهم مشركون قال: {إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ} [النساء: ٤٨]. وكما قال الله: إنه لا يغفر للمشركين، قال: إنه لا يصح سؤال المغفرة للمشركين لا من نبيٍّ، ولا من غيره، قال تعالى: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ والذين آمنوا أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانوا أُوْلِي قربى} [التوبة: ١١٣] . فلا يجوز التعريض بالمغفرة، بل الذي يصح هو تفويض الأمر إليه، وتركه إلى حكمته سبحانه، بل إنَّ ما دان به هؤلاء أكبر من الشرك وأعظم، فإن الشرك أن تجعل لله نداً، وكان المشركون في الجاهلية يجعلون مع الله آلهةً أخرى يعبدونهم، ليقربوهم إليه زلفى(٣). وأما هؤلاء فقد عبدوا المسيح وأمه من دون الله، فإنهم جعلوه أقل من الشريك، فهم أوْلى بعدم المغفرة ورجائها لهم.

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/٩٠.

(٢) روح والمعاني ٤/٦٧.

(٣) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي الناشر: دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م :٧٥.

٦- ولا يَحْسنُ طلبُ المغفرة لهم، أو التعريض بها من السيد المسيح من جانب آخر، ذلك أن الأمر يتعلق به هو، أعني بعيسى، عليه السلام، فإنه مسؤول مستنطق عما ادُّعيَ عليه أنه قاله وهو أنه طلب من الناس أن يعبدوه وأمه، وأن يتركوا عبادة الله. وقد ذكر السيد المسيح أن هذا افتراء عليه، فكيف يصح أدباً أن يطلب المغفرة أو يعرض بها لهؤلاء المفترين الذين أعلَوه وأمه على الله سبحانه؟

إنه لو كان الأمر يتعلق بغيره، لكان من السماجة الشفاعة لهم، لأن ما فعلوه أعظم من الشرك، فكيف والأمر يتعلق به هو؟ إن طلب المغفرة لهم يعني التغاضي أو التهوين من شناعة هذا الأمر ويوهِمُ الرضا به والارتياح له. ألا ترى أنه لو اتُّهِمَ مسؤول الشرطة مثلاً بأنه أصدر أمراً للإطاحة بالملك، ليكون هو مكانه، ثم قبض على هذا المسؤول واستجوب، فنفى أن يكون له علمٌ بذلك، أكان يصح أن يَطلبَ من الملك العفو عن هؤلاء الذين خلعوا سلطانه، وأعلنوا العصيان عليه، وادعوا أن هذا بأمرِ مسؤول الشرطة نفسه؟ إنه الآن في مقام دفع التهمة عن نفسه، وإثبات براءته، فكيف يصح أن يطلب العفو عن هؤلاء الجناة المفترين؟ إنه الآن في موقفٍ يحتاجُ إلى الشفاعة لا أن يشفع هو.

فتبين من هذا أن ختم الآية بما ختم من العزة والحكمة هو الأولى[١]. وقال بعضهم: في الآية تقديم وتأخير ومعناه: إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فإنك أنت العزيز الحكيم وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فإنهم عبادك[٢].

المبحث الثاني: تشابه الأطراف في سياق أفعال الذم.

الموضع الأول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾

تأتي هذه الآية في سياق آيات عدّة موضوعها التنفير من موالاة أعداء الإسلام وأهله من المنافقين وأهل الكتاب الذين يهزؤون بشرائع الإسلام المطهرة، ويتخذونها هزواً

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٧٩.

(٢) بحر العلوم ،أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي تح: د.محمود مطرجي: دار الفكر – بيروت ٤٥٤/١.

ولعباً. مضيفة من أوصافهم شرها التي منها الاستهزاء بالدين والمبادرة إلى ارتكاب الإثم والظلم والمعاصي والاعتداء على الناس وأكل أموالهم بالباطل، وعليه لبئس العمل كان عملهم، وبئس الاعتداء اعتداؤهم.

وَتَرَى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يصلُح للخطاب والرؤية بصرية، كَثِيراً مّنْهُمْ من اليهود والمنافقين وقولُه تعالى {يسارعون في الإثم} حال من كثيراً وقيل مفعول ثانٍ والرؤيةُ قلبية والأول أنسبُ بحالهم وظهور نفاقهم والمسارعة المبادرة والمباشرة للشيء بسرعة وإيثار الحرف(في) على الحرف (إلى) الواقعة في قوله تعالى وَسَارِعُواْ إلى مَغْفِرَةٍ الخ لِما ذُكر في قوله تعالى فَتَرَى الذين في قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يسارعون فِيهِمْ والمرادُ بالإثم الكذبُ على الإطلاق ،وقيل الحرام ،وقيل كلمةُ الشرك وقولُهم عزيرٌ ابنُ الله ،وقيل هو ما يختصُّ بهم من الآثام {والعدوان} أي الظلم المتعدي إلى الغير أو مجاوزة الحد في المعاصي {وَأَكْلِهِمُ السحت} أي الحرام خصه بالذكر مع اندراجه في الإثم للمبالغة في التقبيح {لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} أي لبئس شيئاً كانوا يعملونه هذه الأمور– فما– نكرة موصوفة وقعت تمييزاً لضمير الفاعل المستتر في– بئس– والمخصوص بالذم محذوف وجوز جعل ما موصولة فاعل– بئس–[1]. وقد جمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار[2]. وأن لفظ المسارعة إنما يستعمل في أكثر الأمر في الخير قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ المؤمنون ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ المؤمنون ،فكان اللائق بهذا الموضع لفظ العجلة إلا أنه تعالى ذكر لفظ المسارعة لفائدة وهي أنهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات كأنهم محقون فيها.

والإثم اسم جامع لجميع المعاصي والمنهيات فيدخل تحته العدوان وأكل السحت ، فلهذا ذكر الله العدوان وأكل السحت بعد الإثم والمعاصي وقيل الإثم ما كتموه من التوراة والعدوان وما زادوا فيها والسحت هو الرشا وما يأكلونه من غير وجهه (لبئس ما كانوا

(١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني٣/٣٤٥.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ٢/٥٦.

يعملون) يعني لبئس العمل كان هؤلاء اليهود يعملون وهو مسارعتهم إلى الإثم والعدوان وأكلهم السحت. ونلحظ في الآية تقديم العام على الخاص فالإثم أعم من العدوان، والعدوان أخص منه وأعم من أكل السحت، وأكل السحت أخص منهما لأن كل أكل السحت عدوان، وليس كل عدوان يكون أكلاً للسحت. وهنا نلحظ حسن الارتباط بين طرفي الآية "فكأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لأن كل عامل لا يسمى صانعاً ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب إليه وكأن المعنى في ذلك أن مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه إليها وتحمله على ارتكابها وأما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فإذا فرط في الإنكار كان أشد حالا من المواقع ولعمري إن هذه الآية مما يقد السامع وينعي على العلماء توانيهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي أشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها" (١).

فلما كان موضوع الآية إبراز السمة المميزة للمنافقين وهي المسارعة والمسابقة في عمل ما يغضب الله تعالى مما نهى عنه من المحرمات وفي مقدمتها أكل المال الحرام ناسب أن تكون خاتمتها **على طريقة تشابه الأطراف** في قوله **(**لبئس ما كانوا يعملون**)** قادحة فيهم ومؤكدة أن ما يصدر عن هؤلاء المنافقين من أعمال كافة ،إنما هي أعمال مذمومة. قال ابن عاشور:" وَجُمْلَةُ لَبِئْسَ مَا كانُوا يَصْنَعُونَ مُسْتَأْنَفَةٌ، ذَمٌّ لِصَنِيعِ الرَّبَّانِيِّينَ وَالْأَحْبَارِ فِي سُكُوتِهِمْ عَنْ تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ، ويَصْنَعُونَ بِمَعْنَى يَعْلَمُونَ، وَإِنَّمَا خُولِفَ هُنَا مَا تَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ قَبْلَهَا لِلتَّفَنُّنِ، وَقِيلَ: لِأَنَّ يَصْنَعُونَ أَدَلُّ عَلَى التَّمَكُّنِ فِي الْعَمَلِ مِنْ يَعْمَلُونَ. وَاللَّامُ لِلْقَسَمِ"(٢).

الموضع الثاني :

﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ المائدة.

هذه الآية تتمة لموضوع الآية السابقة ، فهي مكملة لها في بيان وصف حال أهل الكتاب من اليهود . ولَوْلاَ هنا تفيد التحضيض والتوبيخ وهي بمعنى هلا ، قال

(١) الكشاف: ٦٨٧/١.

(٢) التحرير والتنوير : ٦ / ٢٤٨ .

الحسن : الربانيون علماء أهل الإنجيل والأحبار علماء أهل التوراة وقال غيره كله في اليهود ؛لأنه متصل بذكرهم والمعنى أن الله تعالى استبعد من علماء أهل الكتاب أنهم ما نهوا سفلتهم وعوامهم عن المعاصي وذلك يدل على أن تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه لأنه تعالى ذم الفريقين في هذه الآية على لفظ واحد بل نقول إن ذم تارك النهي عن المنكر أقوى لأنه تعالى قال في المقدمين على الإثم والعدوان وأكل السحت﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾(المائدة) وقال في العلماء التاركين للنهي عن المنكر (لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ) والصنع أقوى من العمل لأن العمل إنما يسمى صناعة إذا صار مستقراً راسخاً متمكناً فجعل جرم العاملين ذنباً غير راسخ وذنب التاركين للنهي عن المنكر ذنباً راسخاً والأمر في الحقيقة كذلك ؛ لأن المعصية مرض الروح وعلاجه العلم بالله وبصفاته وبأحكامه فإذا حصل هذا العلم وما زالت المعصية كان مثل المرض الذي شرب صاحبه الدواء فما زال فكما أن هناك يحصل العلم بأن المرض صعب شديد لا يكاد يزول فكذلك العالم إذا أقدم على المعصية دلّ على أن مرض القلب في غاية القوة والشدة[١]. وفي الآية تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فإن لولا إذا دخل على الماضي أفاد التوبيخ وإذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض. وقوله تعالى:(لَبِئْسَ مَا كانُوا يَصْنَعُونَ) هنا أبلغ من قوله (لبئس مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) من حيث إن الصنع عمل الإنسان بعد تدرب فيه وتروٍ وتحري إجادة، ولذلك ذم به خواصهم ولأن ترك الحسنة أقبح من مواقعة المعصية، لأن النفس تلتذ بها وتميل إليها ولا كذلك ترك الإنكار عليها فكان جديراً بأبلغ الذم[٢].وفيه مما ينعى على العلماء توانيهم في النهي عن المنكرات ما لاَ يخفي وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنهما أشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها[٣] . **وهنا يتضح لنا تشابه الأطراف في الآية الكريمة** فلما كان الربانيون والأحبار من الخاصة جاءت نهاية الآية تدل على الخصوص وهو الفعل(يصنعون) دون (يعملون) التي وردت في الآية التي قبلها.

(١) ينظر: التفسير الكبير ٣٣/١٢.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل ١٣٤/٢.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٥٧/٢.

وثمة لطيفة ذكرها سيد قطب –رحمه الله– في هذه الآية بقوله: "فأكل الحرام كذلك سمة يهود في كل آن! «لَبِئْسَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» ! ويشير السياق إلى سمة أخرى من سمات المجتمعات الفاسدة وهو يستنكر سكوت الربانيين القائمين على الشريعة، والأحبار القائمين على أمر العلم الديني.. سكوتهم على مسارعة القوم في الإثم والعدوان وأكل السحت وعدم نهيهم عن هذا الشر الذي يتسابقون فيه: «لَوْلا يَنْهاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ! لَبِئْسَ ما كانُوا يَصْنَعُونَ!» فهذه السمة– سمة سكوت القائمين على أمر الشريعة والعلم الديني عما يقع في المجتمع من إثم وعدوان– هي سمة المجتمعات التي فسدت وآذنت بالانهيار.. وبنو إسرائيل «كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ» .. كما حكى عنهم القرآن الكريم..." (١).

الموضع الثالث :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ المائدة

اليهود لما أصروا على تكذيب نبينا محمد –ﷺ– أصابهم القحط والشدة وبلغوا إلى حيث قالوا يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ فالله تعالى بيّن أنهم لو تركوا ذلك الكفر لانقلب الأمر وحصل الخصب والسعة ، وفي لفظ (أقاموا) استعارة. إذ استعيرت الإقامة لعدم الإضاعة لأنّ الشيء المضاع يكون مُلْقى ، ولذلك يقال له : شَيْء لَقًى ، ولأنّ الإنسان يكون في حال قيامه أقْدَر على الأشياء ، فلذا قالوا : قامتْ السوق . فيجوز أن يكون معنى إقامة التّوراة والإنجيل إقامة تشريعهما قبل الإسلام ، أي لو أطاعوا أوامر الله وعملوا بها سلموا من غَضَبه فلأغْدَق عليهم نعمَه(٢)، فاليهود آمنوا بالتَّوراة ولم يقيموا أحكامها؛ لأن التوراة لا يصح عليها القيام ، وإنما المراد لو أنهم اتبعوا حكمها ، وفي

(١) في ظلال القرآن : ٢ : ٩٢٨ .

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت : ١٤٠٣هـ): دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت) الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ ٥٢٢/٢.

قوله(لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم) وجوه فتارة تحمل على الحقيقة وتارة على المجاز:

الأول: أن المراد منه المبالغة في شرح السعة والخصب ؛ لأن هناك فوقاً وتحتاً والمعنى لأكلوا أكلاً متصلاً كثيراً وهو كما تقول فلان في الخير من فوقه إلى قدمه تريد تكاثف الخير وكثرته عنده[١]، فهنا حمل المعنى على الكناية .

الثاني : أن الأكل من فوق نزول القطر ومن تحت الأرجل حصول النبات، على سبيل المجاز المرسل بعلاقة السببية ، كما قال تعالى في سورة الأعراف: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مّنَ السَّمَاء وَالاْرْضِ)(الأعراف٩٦).

الثالث: الأكل من فوق كثرة الأشجار المثمرة ومن تحت الأرجل الزروع المغلة ، والرابع المراد أن يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنون ما تهدل من رؤوس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم ، والخامس يشبه أن يكون هذا إشارة إلى ما جرى على اليهود من بني قريظة وبني النضير من قطع نخيلهم وإفساد زروعهم وإجلائهم عن أوطانهم، وفي النقطتين الأولى والثانية حمل على المجاز ، والثالثة حمل على الحقيقة والقولان يحتملان .

وعبر بـ (من) لأن المراد بيان جهة المأكول لا الأكل (من فوقهم) ولما كان ذلك كناية عن عظم التوسعة ، قال موضحاً له معبراً بالأحسن ليفهم غيره بطريق الأولى : (ومن تحت أرجلهم) أي تيسراً واسعاً جداً متصلاً لا يحصر ، أو يكون كناية عن بركات السماء والأرض ، فبين ذلك أنه ما ضربهم بالذل والمسكنة إلا تصديقاً لما تقدم إليهم به في التوراة[٢]. وفي هذه الآية حذفان بليغان، داخلان في نطاق المجاز الذي هو عنصر البلاغة ، وهما:

١- حذف المضاف في قوله: «أقاموا التوراة والإنجيل» والمراد أحكام التوراة والإنجيل وحدودهما، وما انطوى تحتهما من أحكام بالغة، وعبر شائعة.

(١) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضى: دار الأضواء . بيروت :١٣٣.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور٤٩٩/٢.

٢- حذف المفعول به، واللطائف فيه تتجدد دائما. وقوله تعالى: «لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم» بالغ أبعد آماد البلاغة، فمفعول «أكلوا» محذوف لقصد التعميم أو للقصد الى نفس الفعل، كما في قولهم: «فلان يحل ويعقد، ويبرم وينقض، ويضر وينفع» ، والأصل في ذلك كله على إثبات المعنى المقصود في نفسك للشيء على الإطلاق. وفي الحذف الذي بصدده ثلاثة أوجه:

آ- أن يفيض عليهم بركات السماء وبركات الأرض.

ب- وأن يكثر الأشجار المثمرة والزروع المغلة.

ج- وأن يرزقهم الجنان اليانعة الثمار، يجنون ما تهدّل من رؤوس الشجر، ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم[١].

(وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ) هذا تنويع في التفصيل. فالجملة الأولى جاءت منهم أمة مقتصدة، جاء الخبر الجار والمجرور، والخبر الجملة من قوله: ساء ما يعملون، وبين التركيبين تفاوت غريب من حيث المعنى. وذلك أن الاقتصاد جعل وصفاً، والوصف ألزم للموصوف من الخبر، فأتى بالوصف اللازم في الطائفة الممدوحة، وأخبر عنها بقوله: منهم، والخبر ليس من شأنه اللزوم ولاسيما هنا، فأخبر عنهم بأنهم من أهل الكتاب في الأصل، ثم قد تزول هذه النسبة بالإسلام فيكون التعبير عنهم والإخبار بأنهم منهم، باعتبار الحالة الماضية. وأما في الجملة الثانية فإنهم منهم حقيقة لأنهم كفار، فجاء الوصف بالإلزام، ولم يجعل خبراً، وجعل خبر الجملة التي هي ساء ما يعملون، لأن الخبر ليس من شأنه اللزوم، فهم بصدد أن يسلم ناس منهم فيزول عنهم الإخبار بمضمون هذه الجملة[٢]، واختار الزمخشري في ساء أن تكون التي لا تتصرف ، فإن فيه التعجب كأنه قيل: ما أسوأ عملهم ولم يذكر غير هذا الوجه[٣].لأن ساء هنا جاءت لإنشاء الذم ، فإذا كانت (ساء) مقيدة لإنشاء الذم صارت غير متصرفة ، وإذا رفع هذا القيد عنها صارت متصرفة ، فجَعْلُ (ساء) هنا جامدة غير متصرف هو الصواب وهو ما

(١)ينظر: إعراب القرآن وبيانه ٥٢٢/٢.

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط ٥٣٨/٣.

(٣) ينظر :الكشاف ٦٩١/١.

ذهب إليه الزمخشري. ولكن النحاة لمَّا ذكروا صيغَ التعجُّبِ لم يَعُدُّوا فيها "سَاءَ" ، فإن أراد من جهةِ المعنى ، لامن جهة التعجُّب المبوبِ له في النحوِ فقريبٌ[١]. واختار ابن عطية أن تكون المتصرفة تقول: ساء الأمر يسوء، وأجاز أن تكون غير المتصرفة فتستعمل استعمال نعم وبئس كقوله: ساء مثلاً. فالمتصرفة تحتاج إلى تقدير مفعول أي ساء ماكانوا يعملون بالمؤمنين[٢]، وغير المتصرفة تحتاج إلى تمييز أي: ساء عملاً ما كانوا يعملون .

وهنا يتضح لنا حسن نهاية الآية المرتبط بأولها على **طريقة تشابه الأطراف** إذ إن التعبير بالعمل لأنهم يزعمون أنه لا يصدر منهم إلا عن علم ، وهم الذين حرفوا الكلم عن مواضعه ، وارتكبوا العظائم في عداوة الله ورسوله .

نتائج البحث :

بعد هذه الرحلة البلاغية في أجواء سورة المائدة والوقوف على بلاغة تشابه أطرافها نقف عند أهم النتائج التي يمكن استخلاصها وهي :

١- إن المتدبر لكلام الله تعالى يلحظ أن القرآن الكريم عقد فريد ارتبطت ألفاظه وكلماته في الآية الواحدة ، وارتبطت آياته ببعضها في السورة الواحدة ، وارتبطت سوره ببعضها حتى أصبح كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً .

٢- إن تشابه الأطراف في سورة المائدة جاء متضمناً القسم المعنوي فقط وهو ما يحتاج إلى تدبر وعمق في التفكير والتأمل ، على العكس من القسم الظاهري الذي تتشابه أطراف ألفاظه فهو لا يحتاج إلى قوة تركيز وتأمل .

٣- أسماء الله الحسنى الواردة في خاتمة آيات سورة المائدة كانت أربعة عشر اسماً وهي : الغفور، الرحيم ، العليم ، العزيز ، البصير ، السميع، الحليم ، الخبير، القدير ، الحكيم ، الواسع ، الشهيد ، الله ، رب العالمين .

٤- اقترن اسم العزيز الحكيم في المواقف التي اقتضت القوة التي تسندها الحكمة ؛ لأنه

---

(١)ينظر: تفسير اللباب ، أبو حفص عمر بن على ابن عادل الدمشقي الحنبلي (ت بعد سنة ٨٨٠ هـ)، دار الكتب العلمية . بيروت ١٨٣٣/١.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٢٥٤/٢.

سبحانه يريد أن يعلمنا أن القوة المجردة من الحكمة تتمادى وتتجبر ، فالحكمة تكبح من جماح القوة .

٥- تقدم (السميع) على (العليم) في الموضع الذي عبّر عن سماع الله تعالى لأقوال المشركين ودعائهم لآلهتم التي يعبدونها من دونه ، وفي ذلك تعريض بحالهم وحال آلهتم التي يعبدونها من دون الله فهي لا تملك لهم الضر والنفع ،إي لا تسمع دعاءهم كي تجيبهم وتجلب لهم النفع ،وتدفع عنهم الضر ، والله هو السميع العليم ،فقدم السمع لآنه يسمع سرهم ونجواهم ويعلم أحوالهم وما تخفي صدورهم .

٦- إن تشابه الأطراف في سياق أفعال الذم يبدو أكثر وضوحاً ، فلما كان السياق يشمل العامة في فعل المنكر جاءت خاتمة الآية (لبئس ما كانوا يعملون) لأن العمل أوسع دلالة من الصنع والفعل ،وعندما كان السياق يتناول الربانيين والأحبار، وهم من خاصة اليهود في أكلهم السحت وفعلهم المنكر جاءت خاتمة الآية تتناسب مع مطلعها، فقال تعالى: (لبئس ما كانوا يصنعون) والصنع أخص من العمل والفعل ،فناسب كل منهما مطلعه ، فما أعظمه من أسلوب وما أدقه من نظم وما أروعه من إعجاز !.

الجدول (١)

الآيات التي ورد فيها تشابه الأطراف في أسماء الله الحسنى في سورة المائدة .

ت	الآية	طرفاها
١	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١ ﴾	أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ، ۚ الله يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ
٢	﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤ ﴾	مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ ، إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ
٣	﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧ ﴾	وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ ، عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ
٤	﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١ ﴾	فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ، وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ

٥	﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾	قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ، وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
٦	﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾	ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ ، إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ
٧	﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾	مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ ، أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ
٨	﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾	إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ ، فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

الجدول (٢)

تشابه الأطراف في أفعال الذم في سورة المائدة .

ت	الآية	طرفاها
١	﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾	يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
٢	﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾	لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ
٣	﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾	وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم ، سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ
٤	﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾	كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ
٥	﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾	يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ، لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ

Rhetoric of the similarity of the parties in Surat Al-Maidah

Dr.Amaar I. Ahmed & Dr.Adnaan A. Asaad

Abstract

This paper deals with the subject of the subjects learned the appropriate namely (similarity of the parties) have chosen Surah to be a model an applied only standing on the verses that sealed the names of Allah and the actions of slander , does not feature in which distinguishes it from other Wall Koran , what is said about the similarity of the parties in this applies to other sura of the fence , all the Holy Quran came separators in a stable place, and related to what preceded it in terms of meaning , whether the appropriate obvious that can be easily recognized , or the appropriate hidden hopes to perceived needs.

As for the research plan has dealt with two input and two sections and a conclusion , offered at the entrance to the definition of the term and scholarly in it, and it overlaps with the term (taking into account the match) and the difference between them . Then we had a definition of fit of the table and their names and the date of descent order, and their relationship to Surat women and Al cattle and most important purpose , and came first section titled similarity of the parties in the context of the names of Allah accredited curriculum selection , fearing prolongation , and display the second part, the similarity of the parties in the context of the actions of slander . Whale Conclusion The most important results drawn research.